فتعثر كفَّاه ويسقُط سوطه وتخدر ساقاه فما يتحرَّك
وهل يستوي المرءان هذا ابن حُرَّةٍ وهذا ابن أُخرى ظهرها متشرَّك

قال مسلمة وقد بدا في وجهه الغضب: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، ليس هذا مثلي، ولكن كما قال الآخر:

فما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناهم بأرماحِنا قسرًا[٢٢]
فما زادنا فيها السِّباءُ مذلَّةً ولا كُلِّفَت خبزًا ولا طبخت قِدرًا[٢٣]
وكم قد ترى فينا من ابن سبيَّةٍ إذا لقى الأبطال يطعنهم شَزْرًا
ويأخذ ريَّان الطِّعَان بكفِّهِ فيوردها بِيضًا ويُصدرها حُمرا …

ثم أردف: إنَّ الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات يا أمير المؤمنين، وقد كانت أم إسماعيل بن إبراهيم جارية[٢٤] …

ولمعت دمعتان في عيني عبد الملك واختلجت شفتاه، فقال وهو يميل على مسلمة فيُقبِّل رأسه وعينيه: أحسنت يا بني، ذاك والله مكانُك.

وانفضَّت الحلبة، وعاد عبد الملك إلى قصره وعاد بنوه، ولكن حديثًا ما ظلَّ يدور في رأس عبد الملك منذ ذلك اليوم، ويدورُ مثلهُ في رأس مَسملة وفي رءوسٍ أخرى …

---

[٢٢] خطبناهم قهرًا، بسيوفنا!

[٢٣] السباء: الأسر.

[٢٤] إسماعيل بن إبراهيم: هو أبو عرب الشمال، وكانت أمه جارية.